

أضواء البيان

@ 6 @ .

والأكنة ، جمع كنان ، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه . .
ويعنون أن تلك الأغطية ، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه صلى الله عليه وسلم ، وقالوا
إن في آذانهم التي يسمعون بها وقراً أي : ثقلاً وهو الصمم . وأن ذلك الصمم مانع لهم من
أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ومما يقول ، كما قال تعالى عنهم : {
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لَهُذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ
} . .

وأن من بينهم وبينه حجاباً ، مانعاً لهم من الاتصال والاتفاق ، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا
منهما عن الآخر ، ويحول بينهم وبين رؤية ما يبدية صلى الله عليه وسلم من الحق . .
والله جل وعلا ، ذكر عنهم هذا الكلام في معرض الذم ، مع أنه تعالى صرح بأنه جعل على
قلوبهم الأكنة ، وفي آذانهم الوقر ، وجعل بينهم وبين رسوله حجاباً ، عند قراءته القرآن
، قال تعالى في سورة بني إسرائيل : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَنِينَكَ
وَبَنِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ خِرَافَةً وَجَعَلْنَا أَسْمَاءَهُمْ سَمَاءً مَّسْتُورَةً وَجَعَلْنَا
عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } . وقال
تعالى في الأنعام { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً
لَّا يُؤْمِنُونَ بِهَا } ، وقال تعالى في الكهف : { إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ
إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } . .

وهذا الإشكال الذي أشرنا إليه في هذه الآيات قوي ، ووجه كونه مشكلاً طاهر ، لأنه تعالى
ذمهم على دعواهم الأكنة والوقر والحجاب في هذه الآية الكريمة من فصلت ، وبين في الآيات
الأخرى أن ما ذمهم على ادعائه واقع بهم فعلاً ، وأنه تعالى هو الذي جعله فيهم . .

فيقال : فكيف يذمون على قول شيء ، هو حق في نفس الأمر . .

والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال ، هو ما ذكرناه مراراً ، من أن الله إنما جعل على
قلوبهم الأكنة ، وطبع عليها وختم عليها ، وجعل الوقر في آذانهم ، ونحو ذلك من الموانع
من الهدى ، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر ، وتكذيب الرسل طائعين مختارين ، فجزاهم الله على
ذلك الذنب الأعظم ، طمس البصيرة ، والعمى عن الهدى ، جزاء وفاقاً .

